معتقلون لبنانيون سابقون في سوريا يسردون تجربتهم عبر الفن

2012-10-19 | نهاد طوباليان من بيروت

معتقلون سابقون أثناء تمثيل مشهد من مسرحية 'هواة الظلام'. [نهاد طوباليان/الشرفة]

يوظف معتقلون سياسيون سابقون في سوريا الفن للتعبير عن معاناتهم ومئات من اللبنانيين الذين اعتقلوا لسنوات طويلة في السجون السورية.

فقد قدم 15 معتقلا لبنانيا سابقا مساء الخميس، 11 تشرين الأول/أكتوبر، في صالة "سوليا- 5" ببيروت أعمالا فينة احتفاء بإطلاق أول مشروع من نوعه في لبنان حمل عنوان "هواة الظلام، تجارب الاعتقال في السجون السورية".

ويشمل المشروع الذي أطلقته جمعية "أمم للأبحاث والتوثيق" و"جمعية المعتقلين اللبنانيين في السجون السورية"، بدعم معنوي ومادي من معهد العلاقات الخارجية التابع لوزارة الخارجية الألمانية، عرضا لنتائج أبحاث ودراسات وإقامة فعاليات فنية وثقافية.

ومعروف أنه بين 1976، تاريخ دخول الجيش السوري لبنان، حتى تاريخ خروجه في نيسان/أبريل 2005، اعتقل الجيش السوري آلاف اللبنانيين بتهم سياسية، وأفرج عن غالبهم في أوقات متفاوتة.

وتخلل المعرض الذي أقيم يوم الخميس توقيع كتاب "عائد من جهنم: ذكريات من تدمر واخواته" لرئيس جمعية المعتقلين في السجون السورية، المعتقل السابق علي أبو دهن، وعرض مسرحية "هواة الظلام" من إخراج الكسندر بوليكيفيتش وتمثيل عدد من المعتقلين السابقين . كما عرض المعتقلون السابقون أعمالهم من رسوم ولوحات، وأعمال يدوية غالبها منحوتات خشبية ونحاسية.

ومن بين الأعمال المعروضة، مجموعة من الحلي النسائية من توقيع رجا قبلان.

قبلان الذي قبع في السجون السورية بين 1991 و2001، يلفت إلى أنه وجد في كل السجون التي زارها وقتاً لتطوير موهبته في الحفر. ويقول "ما عرضته هو نتاج عمل شهرين من التركيز لإبراز ما لدي من طاقة".

ولا يخفي رجا إمكانية إكمال ما بدأه إذا ما وجد من يدعمه. ويعلق "بعدما سجنت قسراً وبتهم لا تمت لي بصلة، فقدت عائلتي ووظيفتي. وأحاول راهناً أن يصبح الحفر عملي لأعيش مما أجنيه من بيع منحوتاتي".

أما المعتقل السابق الياس طانيوس، 49 عاماً، الذي أمضى تسع سنوات متنقلاً بين سجني المزة وصيدنايا من العام 1992 حتى 2001، فنفّذ مجسماً ثلاثي الابعاد من القماش والبلاستيك للبراد الذي سبق وصنعه في السجن لحفظ المأكولات. إلا أنه يلفت إلى أنه وجد في التمثيل وسيلة للتعبير عن ألمه وتجاربه.

ويعتبر طانيوس أن "الفن وسيلة تعبير لإيصال صوتنا إلى المسؤولين اللبنانيين والدوليين، عما يعانيه لليوم رفاق لنا في السجون السورية، ولمطالبة الدولة بتعويضات".

ويشير إلى أن المعرض شمل أعمالا يدوية نفذت داخل السجون، وأخرى بعد الخروج إلى الحرية، من قبل معتقلين سابقين من كل الانتماءات الحزبية والسياسية والطائفية.

الانبثاق من تحت الرماد

ويقول رئيس "جمعية المعتقلين اللبنانيين في السجون السورية"، علي أبو دهن، إن 620 أسيرا ما يزالون موزعين على السجون السورية التي حضرت في المعرض بشكل مجسمات.

ويضع أبو دهن، تجربة المعتقلين السابقين الفنية في إطار "الانبثاق من تحت الرماد".

ويضيف للشرفة "نقول بالفن والثقافة إنه برغم جرحنا وألمنا، لدينا روح، ونريد أن نحيا من جديد. فعلى رغم الاختلاف في انتمائنا الطائفي والسياسي، تجمعنا كمعتقلين قضية إنسانية".

من جانبه، يعتبر رئيس جمعية "أمم للأبحاث والتوثيق"، لقمان سليم، أن المبادرة ليست فقط ملفا شائكا من ملفات الحرب والسلم اللبنانيين، إنما جزءا محوريا وأساسيا من ملفات العلاقات اللبنانية – السورية.

ويضيف للشرفة "في الوقت الذي عبر المعتقلون السابقون بالفن عن معاناتهم والظلم الذي لحق بهم، تأتي مبادرتنا من ضمن مشاريع سبق ونفذناها مثل 'ما العمل؟ لبنان وذاكرته حمالة الحروب' الذي ساءل نجاحات السلم الأهلي في لبنان وإخفاقاته، و'لم يعودوا' الذي تابع موضوع المفقودين والمخفيين قسراً خلال الحروب اللبنانية، و'كتب من الميدان' الذي رصد التداخل بين الإنتاج الفني والثقافي وبين سياقات الحرب".

ويختم لقمان قائلا "الرسم والنحت والمسرح يشكلون في تجارب صادمة طريقاً وحيداً للتعبير عن الأحاسيس، خصوصاً في حالة المعتقلين السابقين ".

موقع الشرفة ، ١٩ تشرين الأول ٢٠١٢